

## أضواء من التفسير

للشيخ عبد القادر شيبه الحمد

المدرس بكلية الشريعة

**قال تعالى: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْإِلَهَةَ الْهَاءَ وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ. وَإِنِّي لَأَنْطَلِقُ الْمَلَآئِكَةَ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا خِثْلَقٌ}.**

**المناسبة:**

هذه الآيات حكاية لأباطيلهم المتفرعة على ما حكاها الله من استكبارهم وعنادهم، فبعد أن أخبر عنهم أنهم في غزوة وشقاق أزدف بما صدر عنهم من تعجبهم منه، ونسبتهم السحر والكذب إليه .

**المفردات:**

**{عَجِبُوا}**.. استغربوا وأنكروا أشد الإنكار . **{جَاءَهُمْ}** : أتاهم . **{مُنْذِرٌ}** أي رسول يبلغهم عن ربه ويعلمهم ويخوفهم. **{مِنْهُمْ}** أي من جنسهم في البشرية، ونوعهم في العربية والأمية . **{الْكَافِرُونَ}** الجاحدون. **{سَاحِرٌ}** منعاط للسحر وهو ما لطف ودق وخفي مأخذه، فالخوارق والمعجزات التي يأتي بها محمد صلى الله عليه وسلم من قبيل السحر عند هؤلاء. **{جَعَلَ}** بمعنى صير وهي من التصيير في القول والزعم لا في الخارج والوجود.

**{إِلَهًا}** أي معبودا مألوها مقصودا محبوبا. **{وَاحِدًا}** متفردا بالألوهية ليس له شريك فيها. **{عَجَابٌ}** بناء مبالغة من العجب أي هذا بليغ في النكارة والغرابة لا يحتمل الوقوع. **{انْطَلِقُ}** ذهب.

**{الْمَلَآئِكَةَ}** الأشراف ووجوه القوم، منهم أبو جهل والعاص بن وائل والأسود بن المطلب بن عبد يغوث وعقبة بن أبي معيط.

**{امشُوا}** أمر بالمشي وهو نقل الأقدام وقيل الأمر بالمشي هنا لا يراد منه نقل الخطى إنما معناه سيروا على طريقكم ودوموا على سيرتكم، والانطلاق الاندفاع في القول، والأول أظهر للسياق وهو الذي يدل عليه سبب النزول.

**{وَاصْبِرُوا}** احبسوا أنفسكم على عبادة آلِهتكم وتمسكوا بها. **{يُرَادُ}** أي يطلب منا الانقياد له، أو أن هذا من نوائب الدهر مراد منا فلا انفكك عنه، أو أن دينكم يطلب ليؤخذ منكم . **{بِهَذَا}** بالتوحيد . **{الْمِلَّةِ}** الشريعة. **{الْآخِرَةِ}** ملة النصارى، أو قريش، أو اليهود والنصارى، أو الملة التي كنا نسمع أنها تكون في آخر الزمان إذ لم يذكر لهم أنها تدعو إلى التوحيد . **{إِنَّ}** بمعنى ما . **{هَذَا}** أي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. **{اخْتِثْلَقُ}** أي كذب وافترأ.

**التراكيب:**

الواو في قوله: **{وَعَجِبُوا}** للاستئناف، والضمير في عجبوا يعود إلى كفارق ريش المفهومين من المقام.

وأن مصدرية وهي مع مدخولها في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر بمن أو اللام و **{مِنْهُمْ}** في محل رفع صفة لمنذر والتنوين في **{مُنْذِرٌ}** للتعظيم كمثلته في قوله تعالى : **{فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا}**. والواو في قوله: **{وَقَالَ}** للعطف أي عطف جملة على جملة. وأصل السياق يقتضي أن يقال : **{وقالوا}** ولكنه عدل عن ذلك ووضع الظاهر موضع الضمير فقال: **{وَقَالَ الْكَافِرُونَ}** تشبيها على الصفة التي أوجبت لهم العجب، حتى نسبوا من جاء بالهدى ودين الحق إلى السحر والكذب وإيذاناً بأنه لا يتجاسر على مثل هذا إلا المتوغلون في الجحود والكفران. وجملة **{سَاحِرٌ كَذَّابٌ}** في محل نصب مقول القول، وكذلك الجملتان بعدها. وإنما ترك العطف بين جملة **{هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ}** وجملة **{أَجَعَلَ الْإِلَهَةَ الْهَاءَ وَاحِدًا}** لأن بينهما كمال الانقطاع إذ الأولى خبرية والثانية إنشائية. وكذلك ترك العطف بين جملة **{أَجَعَلَ الْإِلَهَةَ الْهَاءَ وَاحِدًا}** وجملة **{إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ}** لنفس الحال، فالأولى إنشائية والثانية خبرية وترك العطف لا يوهم خلاف المراد. والهمزة في أجعل الآلهة للاستفهام التعجبي معنى كيف.

والواو في قوله **{وَإِنِّي لَأَنْطَلِقُ الْمَلَآئِكَةَ مِنْهُمْ}** للاستئناف و **{مِنْهُمْ}** في موضع نصب على الحال من الملاء، وأن امشوا يجوز أن تكون أن مصدرية أي انطلقوا بقولهم أي امشوا ويجوز أن تكون مفسرة لانطلاق لأنه ضمن معنى القول لأن المنطلقين عن مجلس التناول لا بد لهم أن يتكلموا، وقيل بل هي مفسرة لجملة محذوفة في محل نصب على الحال من الملاء أيضا والتقدير وانطلقوا يتحاورون أي امشوا . وقيل لا حاجة إلى التقدير ولا التضمن لأن الانطلاق هنا الاندفاع في القول والكلام نحو انطلق لسانه فأن مفسرة له، وقوله: **{عَلَى آلِهَتِكُمْ}** أي عبادتها، فهي على حذف المضاف. وقوله: **{إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ}** تعليل للأمر بالصبر والإشارة راجعة إلى ظهور محمد صلى الله عليه وسلم وتأليه إله واحد المفهوم من السياق.

**المعنى الإجمالي:**

واستغرب هؤلاء وأنكروا أشد الإنكار لمجيء رسول عظيم يبلغهم عن ربه، ويعلمهم ويخوفهم، وهو من جنسهم في البشرية ومن نوعهم في العربية والأمية، وقال هؤلاء الجاحدون : هذا يأتي بالخوارق بواسطة تعاوي السحر وهو مغتر كثير الكذب، كيف يصير المعبودات الكثيرة معبودا واحدا فينفي الألوهية عنها. ويقصرها على إله واحد، إن تأليه إله واحد لشيء بليغ في العجب.

واندفع أشراف قريش من مجلس أبي طالب يتحاورون أي امشوا وسيروا -أو اندفعوا في الكلام - أي امشوا واثبتوا على طريقكم، واحبسوا أنفسكم على عبادة معبوداتكم، إن ظهور محمصلى الله عليه وسلم لأمر يطلب منا الانقياد له، أو أن هذا من نوائب الدهر ابتلينا به، وهو مراد مظللا انفكك لنا عنه، أو أن دينكم

يطلب ليؤخذ منكم، ما سمعنا بالتوحيد في شريعة النصارى، أو في دين آباءنا أو في شريعة اليهود والنصارى، أو في الشريعة التي حدثنا بها الأحيار فإنهم لم يذكروا لنا التوحيد، وإنما ذكروا أن نبينا يبعث آخر الزمان ، ما هذا الذي جاء به محمد إلا كذب وافتراء

#### ما ترشد إليه الآيات:

- 1 - استغراب الكفار لمجيء الرسول منهم.
- 2 - وأن سبب الاستغراب هذا هو الكفر.
- 3 - وأن الكفر لا يأتي بخير.
- 4 - وأن الدين الشائع عند ظهور الرسول هو الشرك.
- 5 - مبالغة الكفار في إنكار التوحيد.
- 6 - تواصي الكفار للتمسك بالشرك.
- 7 - تكذيب القرآن ودعواهم أنه سحر.
- 8 - اضطراب الكفار في وصف محمد صلى الله عليه وسلم.

**قال تعالى: {أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ . أَمْ لَهُمْ مَلَكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ . خُذْ مَا هَتَاكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ}.**

#### المناسبة:

0 بعد أن بين الله تعالى ما صدر من هؤلاء الكفار نتيجة استكبارهم بين هن | استبعادهم اختصاص محمد بالذكر والشرف دون أشرافهم بدعوى أنه ليس من أصحاب الأموال، ثم بين سبب هذا الاستبعاد وهدهم وتوعدهم.

#### المفردات:

{أَنْزَلَ} ألقى. {الذِّكْرُ} القرآن. {شَكٌّ} ريب. {ذِكْرِي} كلامي يعني القرآن.  
{لَمَّا} حرف نفي لما يتوقع حصوله. {يَدُوقُوا} يجسوا ويختبروا طعم العذاب. {عَذَابٌ} عقاب.  
{خَزَائِنُ} كنوز. {الْعَزِيزِ} الغالب الفاهر . {الْوَهَّابِ} الواسع العطاء الكثير المواهب . {فليرتقوا}  
فليصعدوا. {الْأَسْبَابِ} المعارج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويديروا أمر العالم . {خُذْ  
مَا} أي جمع حفير. {مَهْزُومٌ} مكسور مقهور. {الْأَحْزَابِ} الكفار الذين تعصبوا في الباطل.

#### التراكيب:

الهمزة في قوله: {أَنْزَلَ} للاستفهام الإنكاري. وقوله {مِنْ بَيْنِنَا} يشير إلى سبب الإنكار وهو الحسد الذي طحن صدورهم حتى أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم، كما حكى عنهم في سورة الزخرف إذ قالوا: {لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْفَرِثِيِّينَ عَظِيمٍ}. وبل في قوله {بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي} للإضراب الإبطالي عن مقدر يفهم من السياق تقديره: "ليس إنكارهم للذكر عن علم بل هم في شك منه". والإخبار بأنهم في شك يقتضي كذبهم في قولهم: إن هذا إلا اختلاق . وبل في قوله {بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابَ} للإضراب الانتقالي لبيان الحال الذي يزول فيه شكهم . ويذوقوا مجزوم يلما، والتعبير بلما للدلالة على أن ذوقهم العذاب على شرف الوقوع. وقوله {أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ} للرد على قولهم أنزل عليه الذكر من بيننا، وأم فيه منقطعة بمعنى همزة الاستفهام الإنكاري، وإنما قدم الطرف لأنه محل الإنكار. وإضافة الرب إلى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم للتشريف والالطف به . ولما استفهم استفهام إنكار في قوله: {أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ} وكان ذلك دليلا على انتفاء تصرفهم في هذه الخزائن أتى بالإنكار والتوبيخ بانتفاء ما هو أعم فقال: {أَمْ لَهُمْ مَلَكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} " أي ليس لهم من ذلك شيء ". والفاء في قوله {فَلْيَرْتَقُوا} فصيحة. و{خُذْ} خبر مبتدأ محذوف أي هم جند وما صفة لجند لإفادة التحقير، وهنالك صفة ثانية له، و {مَهْزُومٌ} خبر ثان . وقيل: جند مبتدأ وما صلة، وهنالك نعت ومهزوم الخبر. قيل إن الإشارة بهنالك إلى الارتقاء في الأسباب أي هؤلاء إن راموا ذلك جند مهزوم. وقال مجاهد وقتادة: "الإشارة إلى مصارعهم في بدر".

#### المعنى الإجمالي:

ننكر أن يلقى على محمد القرآن وأن يختص بالشرف من بين أشرافنا، وليس بأكثرنا مالا، ولا أعظما جها وليس إنكار هؤلاء للذكر عن علم بل هم في ريب من القرآن، وهم كذبة في قولهم إن هذا إلا اختلاق، ب هؤلاء لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم، وسأنزل بهم قريبا، وهذا هو الحال الذي يزول فيه ريبهم وشكهم، أعند هؤلاء كنوز رحمة ربك يتصرفون فيها كيفما يشاءون حتى يصيبوا بها من شاءوا، ويصرفوها عن شاءوا، ويتحكه فيها بمقتضى آرائهم، وأهوائهم، فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم، ليس لهم ذلك، فالوهم عطية من الله تعالى يتفضل بها على من يشاء من عباده -وهو أعلم حيث يجعل رسالته - لا يمنعه مانع، ولا يقهره قاهر، وهو الغالب الواسع العطاء بل هؤلاء سلطات العوالم العلوية والسفلية ؟ إن كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج الت يتوصل بها إلى العرش، حتى يستووا غيه، ويديروا أمر العالم، هؤلاء القوم إن راموا ذلك جمع مقهور وجند مكسور من هؤلاء الجماعات التي تحزبت على أنبيائها في الباطل فقهرناهم وعندما تمت تحزباتهم كانت مصارعهم.

#### ما ترشد إليه الآيات:

- 1 - حسد الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم.
- 2 - إنكارهم القرآن بسبب الحسد.

- 3 - ميلهم إلى التحكم في رحمة الله.
- 4 - إنكارهم القرآن ليس عن علم.
- 5 - استغراقهم في الشك.
- 6 - هؤلاء لا يؤمنون إلا عند عقاب رادع.
- 7 - سيحل بهم العقاب قريباً.
- 8 - لا عطاء إلا من مالك.
- 9 - تبييتهم وتوبيخهم.